مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثاني والعشرون / رجب - رمضان ١٤٢٨ هـ ، اغسطس - اكتوبر ٢٠٠٧م

٢٢

- الروضة الشريفة : دراسة تاريخية توثيقية
- الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز
- الدورات قصيرة الأجل للضغط الجوي في منطقة المدينة المنورة .
- مخطوطات المدينة المنورة في مكتبة جامعة برنستون .

الحياة الثقافية في المدينة المنورة
في عهد الملك عبدالعزيز

د. عبدالباسط بدر

مدير عام مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تمهيد

الحياة الثقافية: المصطلح والدلالة

من المفيد في الدراسة المنهجية لأي موضوع أن ننظر في مصطلحاته وندرك دلالاتها لتكون خطواتنا فيه على هدى، خاصة في الموضوعات التي تتسع ميادينها لتفصيلات كثيرة واجتهادات تختلف فيها الآراء، فما المقصود بعبارة: الحياة الثقافية ؟ وما أبعاد دلالاتها؟

اعتاد الدارسون أن يطلقوا مصطلح الحياة الثقافية على مجموعة الأنشطة والفعاليات المعرفية التي تظهر وتنتشر بقدر واف في شريحة من أبنائه، مثلما يطلقون مصطلح "الحياة الدينية والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية" على الفعاليات والأنشطة التي تدل عليها المصطلحات التالية لكلمة الحياة، وتمثل كلمة الحياة امتداد تلك الفعاليات والأنشطة واستمرارها في زمن يحدده عنوان البحث، ومثلما تصّور هذه الكلمة عندما تطلق على الإنسان أو الحيوان الوجود والحركة، فإنها تدلنا عندما تطلق على الظواهر المعنوية على وجود تلك الظواهر وحركتها صعوداً ونزولاً، وتبين من ثم الآثار والنتائج التي تحققها.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأما الثقافة فمصطلح لم يستخدم في عصورنا الحضارية السابقة بالدلالة التي نستخدمها اليوم، فرغم وجود مادتها اللغوية ودلالاتها على "التقويم"وإصلاح الاعوجاج[١]؛ فإن دلالاتها المعرفية الواسعة هي من معطيات العصر الحديث التي أسهمت فيها معارف وترجمات من لغات أجنبية.

وأياً كان تاريخ استخدام هذا المصطلح في دلالته الحديثة فقد أصبح من المتعارف عليه أن الثقافة تعني مجموعة المعارف الإنسانية في الدين والتاريخ والجغرافيا والاجتماع والتقاليد والأعراف و الشعر والقصة وسائر الأجناس الأدبية الأخرى، بل وأصبح هذا المصطلح يستخدم للدلالة على السلوكيات المنبثقة من تلك المعارف، فتوصف تجارة الرقيق مثلاً بأنها جزء من ثقافة عصر بعينه.

الحياة الثقافية في المدينة المنورة قبيل العهد السعودي

الحياة الثقافية لأي مجتمع، وفي أي زمان ومكان، سلسلة متصلة من الفعاليات والأنشطة المعرفية، من الصعب أن تنقطع في فترة محددة عما قبلها انقطاعاً تاماً، حتى في الفترات التي يشهد فيها المجتمع تحولاً جذرياً في أوضاعه السياسية والفكرية لابد من وجود مرحلة انتقالية تكون صلة بين الفترة التي سبقت التحول الجذري والفترة التي تلتها، وهي مرحلة المخضرمين الذين تشكلت ثقافتهم في الفترة الأولى، وأخذت تستوعب التغيرات الجديدة وتتأقلم معها في الفترة التالية، لذلك فإن الانقطاع التام في الحياة الثقافية للمجتمع لا يحدث أبداً، بل

(١) ورد في اللسان: ثقف الرجل ثقافة أي: صار حاذقاً خفيفاً ٤٩٢/١ مادة ثقف والتثقف والثقافة: العمل بالسيف.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تبقى خيوط متصلة بين الفترتين المختلفتين، تمثل المعرفة الإنسانية الفطرية التي لا تغيب عن الفكر والوجدان أياً كان حاله.

لذا، ولكي نتبّين الصورة الواقعية للحياة الثقافية في المدينة المنورة في العهد السعودي، ننظر باختصار شديد في الملامح العامة لهذه الحياة قبيل هذا العهد، وفي مؤسساته ورجاله المخضرمين الذين واكبوا المرحلتين.

بدأ العهد السعودي في المدينة المنورة - كما هو معروف - في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ، عندما بايع أهل المدينة الملك عبدالعزيز على يد ابنه الأمير محمد[1]، ولم تكن بداية العهد السعودي حدثاً عادياً رغم كل ما صاحبه من طمأنينة وسلاسة، بل كان نتيجة لسلسلة من الأحداث، تمتد جذورها لسنوات عدة، عاش فيها أهل المدينة موجات متوالية من القلق والاضطراب، بل ومن الحصار والجوع والتشريد.

ففي مطلع عام ١٣٣٧هـ كانت المدينة شبه خالية من أهلها، تذرع الدوريات العثمانية المدججة بالسلاح شوارعها وأطرافها، ويحيط بها على بعد كيلومترات جيش يقوده أبناء الشريف حسين، وكل يتربص بالآخر وينتظر المعركة الفاصلة التي لم تحدث أبداً، وما بين هذين الجيشين المتحاربين، عانى أهل المدينة مرارات يطول الحديث عنها، فقد أمر قائد الحامية العثمانية في المدينة فخري باشا بإفراغها من أهلها استعداداً للمعركة الفاصلة، وسواء كان أمره حرصاً على سلامة أهل المدينة، أو حرصاً على أن لا يعوق المدنيون خطط دفاعه وقتاله، فإن خروج الآلاف إلى أنحاء شتى في الحجاز ومصر والشام وتركيا قد آذى الكثيرين، وعطل سائر جوانب الحياة في المدينة التي كانت غاية في الطمأنينة والحيوية

(١) انظر: ملوك آل سعود ١٧٧ وذكريات العهود الثلاثة ١٠٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والازدهار قبل الحرب العالمية الأولى، ومثلما شلت الحياة الاقتصادية وتأذت الحياة الاجتماعية شلت الحياة الثقافية بخروج العلماء والأدباء وأغلقت المدارس والمكتبات ولم يعد ثمة وجود للمجالس الثقافية.

وفي الخامس من ربيع الأول من العام نفسه استسلم قائد الحامية العثمانية فخري باشا وخرج مع بقايا رجاله من المدينة، ودخلها جيش الهاشميين بما فيه من أخلاط الجنود الوافدين والبدو، ومرت فترة غير قصيرة قبل أن تصحو المدينة من صدمتها وتتخلص من آثار حصار استمر ثلاث سنوات ونيف، وبدأ أهلها يعودون إليها على حذر، فيما بقي معظم الذين وفدوا إليها قبل الحرب وأسهموا في تطور حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعيداً يرقبون الأحداث المتسارعة في سائر البلاد العربية ويتأثرون بها، وأخذت المدينة تستعيد عافيتها ببطء، وأخذ العائدون إليها يعملون على تنشيط مختلف جوانب الحياة فيها، وكان المسجد النبوي أول ميدان ثقافي تعود إليه الحياة، حيث عاد إليه عدد من الشيوخ أمثال الشيخ محمد الطيب الأنصاري، والشيخ إبراهيم بري، والشيخ عمر الكردي الكوراني، والشيخ أحمد كماخي، والشيخ أحمد شمس الشنقيطي، والشيخ خضر الشنقيطي [1].

وعقدت حلقات التدريس في رحاب المسجد النبوي وكانت مفتوحة يحضرها مع طلاب العلم عامة الناس، وكانت موضوعاتها في العقيدة والتفسير والفقه، إضافة إلى حلقات قليلة متخصصة في أصول الفقه والقراءات والنحو.

(١) انظر الرحلة النجدية الحجازية ص ٣٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأنشأت الدولة مديرية المعارف، وأسندت إدارتها للشيخ عبدالقادر الشلبي الطرابلسي، وافتتحت أربع مدارس تحضيرية رسمية سنة ١٣٣٨هـ سميت بأسماء أبناء الشريف حسين (العبدلية والفيصلية والزيدية والعلوية) "وكل مدرسة منها تضم ثلاثين تلميذاً، ولكل مدرسة مدير ومعاون، ودروس كل منها القرآن الكريم والتوحيد والفقه والحساب، وليس لعلوم للغة العربية فيها أثر.. لأنها مدارس ابتدائية " [١].

ومدة الدراسة عامان فقط، ثم افتتحت بعد ذلك مدرسة أعلى سميت المدرسة الابتدائية الراقية مدة الدراسة فيها أربعة أعوام يدخلها الطالب بعد أن يتخرج من المدرسة التحضيرية ويدرس فيها التجويد والتفسير والتوحيد والفقه والنحو والصرف والبلاغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والحساب ويتدرب على الخطابة فضلاً عن ممارسة بعض الألعاب والتمارين الرياضية [٢].

وقد لاقى التعليم الحكومي صعوبات كثيرة بسبب ضيق الميزانية وضعف الإدارة، وبادر الأهالي إلى افتتاح عدد من المدارس الأهلية التي كانت موجودة من قبل، وأنفقوا عليها من الأوقاف التي يديرونها ومن أموالهم الخاصة، وقام أحمد الفيض آبادي بافتتاح مدرسة العلوم الشرعية عام ١٣٤١هـ معتمداً على تبرعات الحجاج الهنود وغيرهم، وأقبل عليها الطلاب ولكن ما لبثت المدرسة أن اتهمت "بالسلفية " لأنها تدرس الكتب التي يعتمدها (السلفيون) وأغلقت بأمر من معتمد المعارف، فانتقل أحمد الفيض آبادي بطلابه إلى المسجد النبوي وأخذ يدرسهم علناً المواد التي كانت مقررة في مدرسته، وهي لا تخرج عن كتب الحديث والتفسير

(١) المصدر السابق ص ٣٦.

(٢) انظر جريدة القبلة ع ٢٢٦ في ٢٥ محرم ١٣٣٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، وأرسل إلى الشريف حسين في مكة يتظلم ويطلب السماح بإعادة فتح المدرسة، فاستجاب له الشريف حسين وفتحت المدرسة ثانية أواخر العهد الهاشمي.

إضافة إلى تلك المدارس القليلة ظهرت عدة كتاتيب في القسم الشمالي من المسجد النبوي، كما ظهرت في مساجد المدينة الأخرى وفي بعض البيوت، حتى لايكاد يخلو منها شارع من الشوارع المأهولة.

ولعل هذه الكتاتيب هي الظاهرة الأبرز في الحركة التعليمية لأنها كانت أهلية بسيطة التكلفة يقوم عليها مدرس واحد لا يحتاج إلى علم واسع.

وبصفة عامة فإن التعليم في العهد الهاشمي بالمدينة المنورة تراجع عما كان عليه في العهد العثماني لأسباب عدة، منها تقلص عدد السكان في المدينة وشح الموارد المالية، وقصر المدة الزمنية التي عاشها الحكم الهاشمي والتي لم تخل من قلاقل ومتاعب.

والنقطة الأهم أن هذا العهد ختم بمواجهة مع رجال الملك عبدالعزيز، نتج عنها حصار للمدينة استمر أكثر من عشرة أشهر، خرج خلاله عدد من أهلها أيضاً[1]، وتعطلت المدارس وخاصة في الفترة الأخيرة من الحصار، وقلت حلقات العلم في المسجد النبوي بسبب غياب شيوخها ومعظم روادها، ورغم الفارق الكبير بين حصار المدينة أواخر العهد العثماني وتشريد أهلها، وحصارها أواخر العهد الهاشمي وخروج قسم من أهلها، فإن النتيجة التي آلت إليها الأمور في الحالتين هي تجميد الحياة الثقافية وكمونها في مربع الانتظار، حتى تتغير الأوضاع السياسية والأمنية لتعود وتنطلق ببداية جديدة في ظروف ومعطيات جديدة.

(١) انظر: ذكريات العهود الثلاثة ص ١٢١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

محاضن الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العهد السعودي

كانت بداية العهد السعودي في المدينة المنورة سلسة وآمنة تؤذن بحياة جديدة وتغيرات قادمة في كثير من جوانبها، فالحصار الذي امتد من نهاية جمادى الآخرة عام ١٣٤٣هـ إلى ربيع الأول عام ١٣٤٤هـ[١]، والذي لم يخل من مناوشات محدودة ومعارك قليلة على مشارف المدينة وفي بعض ضواحيها [٢]، جعل أهل المدينة وقيادتها تتجه إلى مبايعة السلطان عبدالعزيز "وكان هذا لقبه الرسمي آنئذ" شريطة تأمين أهلها والمقيمين فيها والموظفين والعسكريين، وأن يتسلم المدينة أحد أبناء الملك عبدالعزيز، واستجاب السلطان عبدالعزيز لطلب أهل المدينة وأرسل ابنه الأمير محمد الذي تسلم المدينة [٣] في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى ١٣٤٤هـ ودخلها في اليوم التالي واستقبل أهاليها على مدى ثلاثة أيام، وقبل منهم البيعة لوالده، ووزع عليهم الأعطيات والأرزاق، وثبَّت الموظفين في وظائفهم إلا من اختار المغادرة، وعين الشيخ زين العابدين لإدارة الحرم، والشيخ أحمد كماخي لإدارة المعارف مكان الشيخ عبدالقادر الشلبي الذي كان يجاهر بالعداء للسلفية في العهد الهاشمي حتى أنه أغلق مدرسة العلوم الشرعية بتهمة الميل للسلفية، ولكن لم يلحقه أذى بل سمح له بالبقاء في المدينة كما سمح له بفتح مدرسة خاصة بعد ذلك .

وما أن استقرت الأمور في منطقة المدينة المنورة خاصة، وفي الحجاز عامة، وانتظم عقد المملكة حتى بدأت الحياة الثقافية في المدينة المنورة

(١) انظر: تاريخ ملوك آل سعود ١٧٣ -١٧٦.

(٢) انظر: السابق نفسه١٧٦.

(٣) انظر: ذكريات العهود الثلاثة ١٦٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تستعيد عافيتها، وتتجه نحو التطور والارتقاء شيئاً فشيئاً مواكبة لتطور جوانب الحياة الأخرى، الاقتصادية والاجتماعية ومتفاعلة معها، والتي استفادت كلها من حالة الأمن والطمأنينة التي انتشرت في سائر أنحاء المملكة، وظهرت بوضوح أشد في المدينة ومكة وفي طريق الحجاج بعامة، والتي حرص الملك عبدالعزيز على تأمنيها ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً، فتهيأت لمحاضن الثقافة ظروف رعاية ما تحتضنه، ومنحت المبدعين والمثقفين وطلاب العلم فرصة تنشيط إبداعهم وزيادة عطاءاتهم أو مكتسباتهم من معين الثقافة، وتتمثل المحاضن الرئيسية للحياة الثقافية آنئذ في حلقات العلم في المسجد النبوي، والتعليم الرسمي والأهلي، والصحافة، والمجالس الثقافية بما فيها من مثقفين وأدباء.

أولاً: حلقات العلم في المسجد النبوي

وكان أول مظهر لعودة الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العهد السعودي حلقات العلم في المسجد النبوي، ففي اليوم الثالث لتسلم الأمير محمد بن عبدالعزيز المدينة اهتم بتنظيم شؤون المسجد النبوي، فولى الشيخ إبراهيم القاضي منصب الخزينة النبوية - وهي تجمع بين إدارة الحرم وهيئة الأوقاف - وعين الشيخ زين العابدين مديراً للحرم[1]، وأقر الشيوخ الذين كانوا يدرسون فيه، ومالبث العلماء وطلاب العلم الذين خرجوا من المدينة أثناء الحصار أن عادوا إليها وعندما زار الملك عبدالعزيز المدينة المنورة لأول مرة في جمادى الأولى ١٣٤٥هـ شكل لجنة لدراسة أوضاع الحرم، رفعت مقترحاتها إليه، وبناء على هذه المقترحات حددت الشروط الواجب توافرها في المدرس، وكلفت إدارة المسجد النبوي باستقطاب العلماء والنابهين من

(١) انظر: ذكريات العهود الثلاثة ١٢٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

طلاب العلم الذين يدرسون في المسجد النبوي، ويجيزهم شيوخهم، وإسناد حلقات الوعظ والتدريس إليهم، فتصدر هذه الحلقات خلال العهد الذي ندرسه عدد كبير من العلماء الذين وفدوا من بلاد إسلامية شتى يحملون علماً غزيراً اكتسبوه في بلادهم، والذين تخرجوا من حلقات المسجد النبوي نفسه، فاجتمعت في هذه الحلقات ثقافات من أنحاء العالم الإسلامي من المغرب إلى بخارى، وكانت القدرات العلمية المقياس الأول لاختيار هؤلاء الشيوخ، وكانت شهرتهم تشد طلاب العلم من المدينة وخارجها إليهم، وامتلأت أروقة المسجد النبوي بهذه الحلقات، تدرس القرآن والنحو والتفسير والحديث والتوحيد والفقه وعلوم اللغة العربية والأدب، وغدا المسجد النبوي أول وأغزر مصدر للحياة الثقافية في المدينة المنورة، وأشبه بجامعة مفتوحة يستفيد منه أبناء المدينة والوافدون إليها، خاصة أنه لم يكن في المدينة جامعة، فكانت الحلقات المتقدمة تمثل أعلى مستوى علمي وتخرج العلماء والمثقفين، ونعرض فيما يلي باختصار شديد أهم الشيوخ الذين تصدروا حلقات العلم في المسجد النبوي خلال العهد الذين ندرسه مرتبين حسب تسلسل أسمائهم [1]:

١ -الشيخ أبو بكر بن محمد أحمد السوقي ((التنبكتي)) (١٣٠٦ -١٣٨٦هـ)

ولد في واحة السوق جنوب الصحراء الكبرى، هاجر إلى المدينة صغيراً، وتعلم في حلقات العلم في المسجد النبوي، وفي عام ١٣٥٦هـ بدأ الوعظ وتدريس الفقه المالكي والتوحيد والتفسير والحديث.

٢ -الشيخ أحمد التكينة (١٣٢٨ -١٣٩٨هـ)

ولد في السودان ، وهاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٣٤٩هـ، وكان يعقدحلقته بعد صلاة العصر، ويدرس فيها النحو ويشرح أحياناً ديوان المتنبي.

(١) هذه التراجم مأخوذة من أرشيف مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣ -الشيخ أحمد بساطي (١٣٠٠ -١٣٦٩هـ)

ولد في المدينة المنورة، ودرس على أيدي شيوخ المسجد النبوي حتى بلغ قسطاً وافراً من العلم والمعرفة، ثم تصدر للتدريس في المسجد النبوي، وكانت حلقته تعقد بعد صلاة المغرب كل يوم بجوار الحجرة من جهة الروضة، ويدرس فيها الفقه الحنفي والفرائض والأدب.

٤ -الشيخ أحمد مصطفى صقر (١٣٠٠ -١٣٦٠هـ)

ولد في المدينة المنورة، كان والده أحد علمائها، فتعلم على يديه، وحفظ القرآن الكريم، وتلقى تعليمه الأولي في المسجد النبوي، ثم التحق بالمدارس الحكومية ودرس مناهجها، وعمل بالتدريس في المسجد النبوي ومكة وجدة.

٥ -الشيخ حامد الفرغاني المدني (١٣٢٠ -١٣٩٣هـ)

ولد في عام ١٣٢٠ هـ في نمنكان ببخارى، ونشأ فيها، وفي عام ١٣٦٥هـ هاجر إلى المدينة المنورة، تصدر للتدريس بالمسجد النبوي الشريف ودرّس التفسير والحديث والفقه وله بعض المؤلفات في الفتاوى والفرائض.

٦ -الشيخ أحمد بن حبيب الله (١٢٩٦-١٣٧٧هـ)

استقر بالمدينة المنورة منذ عام ١٣٢٠ هـ، تصدر للتدريس في التفسير والحديث والفقه، وله عدد من المؤلفات في الدعوة والمواعظ.

٧ -الشيخ حمزة الأركوبي (١٣٠٠ -١٣٥٥هـ)

ولد بالمدينة المنورة، ونشأ فيها، اهتم بطلب العلم وهو يافع السن، فلمح فيه شيوخه الجدّ والمواظبة، فأجازوه وتصدر للتدريس بالمسجد النبوي وهو ما يزال شاباً، وكانت أغلب دروسه في الفقه الحنفي.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٨ - الشيخ حميدة الطيب (١٢٨٨ـ١٣٦٢هـ)

هاجر إلى مكة المكرمة، ثم المدينة، وتصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف، واتخذ له ثلاث حلقات يومية: واحدة بعد صلاة الفجر، وأخرى بعد صلاة العصر، والثالثة بعد صلاة المغرب، يدرّس فيها العلوم الشرعية والعربية.

له مؤلفات منها: الثمر الداني في التوحيد الرباني ـ التمكين في الوصول لطريق سيد المرسلين ـ المسالك إلى ألفية ابن مالك ـ الآثار في بلدة المختار ـ آراء في أحوال أهالي طيبة ودمشق الفيحاء.

٩ -الشيخ سعيد الفوتي (١٣١٠ـ١٣٥٣هـ)

ولد عام ١٣١٠ هـ في بلاد فلاته قرب الصحراء الإفريقية الكبرى. هاجر إلى المدينة صغيراً، وتعلم على علمائهاالفقه المالكي والحديث النبوي الشريف والتوحيد السلفي، وفي عام ١٣٤٩ هـ توفي الشيخ محمد هاشم الفوتي المعروف بلقب (ألفا هاشم) فتصدر مكانه في التدريس.

١٠ -الشيخ عبد الحي أبو خضير (١٢٩٢هـ -١٣٨٠هـ)

ولد بالمدينة، ونشأ فيها، وكانت حلقته خلف المكبرية، وكانت دروسه في الفقه الشافعي والحديث، وقد درّس صحيح البخاري وشرحه للطلاب عدة مرات، واستمرت حلقته خمسة وثلاثين عاماً.

١١ -الشيخ عبد الغني مشرف (١٣٠٣هـ -١٣٩٧هـ)

ولد بالمدينة المنورة ونشأ فيها، كانت دروسه في الفقه والتوحيد وقد تتلمذ على يديه الكثير من أبناء المدينة المنورة، له مؤلفات في الفقه.

١٢ -الشيخ عمار الأزعر (١٣١٦هـ -١٣٨٩هـ)

ولد في بلدة قمار في الجزائر، رحل إلى المدينة عام ١٣٥٣هـ، وعين مدرساً في المسجد النبوي بتاريخ ١٣٦٦/١/١هـ، درّس صحيح البخاري لفترة طويلة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٣.الشيخ عمر حمدان المحرسي (١٢٩١هـ ـ ١٣٦٨هـ)

ولد في بلدة جربة بتونس، ونشأ فيها ، رحل إلى المدينة سنة ١٣٠٤هـ ، وأكمل تعليمه فيها ، درّس في الحرمين الشريفين الحديث والفقه المالكي والأصول والنحو والصرف والبلاغة والتفسير ،وكان عالماً متضلعاً . وزع وقته بين المدينة ومكة ، حيث يقضي وقت الصيف في المدينة المنورة.

١٤ -الشيخ محمد إبراهيم بن سعد الله الختني (١٣١٤ -١٣٨٩هـ)

ولد في بلدة ختن في تركستان و نشأ فيها ، سكن المدينة عام ١٣٤٩هـ ، ودرّس في المسجد النبوي ومن الكتب التي درسها "موطأ الإمام مالك ، وكتب النحو ، وتفسير الجلالين حتى آخر حياته.

١٥ -الشيخ محمد إبراهيم سليمان الكتامي (١٣٠٤ -١٣٦٠هـ)

ولد في المنوفية بمصر ونشأ فيها ، سكن المدينة ، ودرس في المسجد النبوي قرب دكة الأغوات القرآن والتجويد والقراءات.

١٦ -الشَّيْخ محمَّد الحافظ (١٣٣٥هـ - ١٤١٨هـ)

وُلِدَ في رابغ ودرس في مدرسة العلوم الشرعية في المدينة المنوَّرة ، واشتغل بالتدريس في المسجد النبوي، وكان أحد المساهمين النشطين في الحركة الثقافية في الفترة التي درسها.

١٧.الشيخ محمد العلي التركي (١٣٠١ -١٣٨٠هـ)

ولد في مدينة عنيزة سكن مكة والمدينة ودرس فيهما الفقه والحديث والوعظ والأدب.

١٨.الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ ـ ١٣٩٣هـ)

ولد في مدينة (تنبه) بموريتانيا ، هاجر إلى المدينة سنة ١٣٦٧هـ ، واستقر مدرساً للتفسير في المسجد النبوي.

له مؤلفات: في التفسير والعقيدة والفرائض والأصول والأنساب.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٩.الشيخ محمد المختار الشنقيطي (١٣٣٧هـ -١٤٠٥هـ)

ولد بموريتانيا، سكن المدينة المنورة درَّس في المسجد النبوي، مختلف العلوم الشرعية والعلمية، من التفسير والحديث والفقه والسيرة والتاريخ.

٢٠.الشيخ محمد الطيب الأنصاري (١٢٩٦-١٣٦٢هـ)

ولد في بلدة تنبكتو بمنطقة المراقد في الصحراء الكبرى الإفريقية، هاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٣٢٣هـ، ودرس العلوم العربية، والفقه، والتفسير، وفي عام ١٣٤١هـ عين رئيساً لمدرسي المسجد النبوي، له مؤلفات في النحو والتفسير والحديث والتوحيد.

٢١.الشيخ زاهد عمر زاهد (١٢٧٥ -١٣٤٨هـ)

وُلد في المدينة المنوّرة تصدر لتدريس علوم اللغة العربية والمنطق، وعلوم القرآن، والتفسير، وأصول الفقه، والحديث، واستمر في التدريس إلى آخر حياته.

٢٢.الشيخ محمد هاشم الفوتي (الفا هاشم) (١٢٨٣-١٣٤٩هـ)

ولد ببلدة (حلوار) في الصحراء الكبرى بإفريقيا، هاجر إلى الحجاز عام ١٣٢٢هـ، ودَرَّس في الحرم المكي إلى عام ١٣٢٦هـ، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ودرس الفقه وأصوله والحديث والبلاغة والتفسير وغيرها من العلوم، وكان الملك عبد العزيز يثق به ويأخذ بفتواه ويقدمها على فتاوى الآخرين، وقد عينه عضواً في مجلس الشورى.

٢٣.الشيخ محمود شويل المدني (١٣٠٢-١٣٧٢هـ)

ولد في المدينة المنورة عام ١٣٠٢هـ، تصدّر لتدريس العلوم الشرعية في المسجد النبوي الشريف عام ١٣٢٧هـ، وبقي في هذه المهمة حتى وفاته.

مؤلفاته: (القول السديد في قمع الضال العنيد)، و (منزلة الحديث من الدين)، وكان ينظم الشعر الجيد.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢٤.الشيخ إبراهيم البري (١٢٨١-١٣٥٤ هـ)

فقيه حنفي، أديب له ديوان شعر مخطوط، كان مرجعاً للفتوى في العهد العثماني، وقاضياً في العهد السعودي.

٢٥.الشيخ تقي الدين الهلالي :

من أهل المغرب هاجر إلى الحجاز سنة ١٣٤٥هـ، فعين مراقباً للدروس ومدرساً في الحرم النبوي، درس اللغة العربية.

٢٦.الشيخ حسن الشاعر (١٢٩١ -١٤٠٠هـ)

شيخ قراء المدينة درّس في المسجد النبوي علوم التجويد والقراءات له كتاب في التجويد.

٢٧.الشيخ زكي البرزنجي (١٢٩٤هـ١٣٦٥هـ)

ولد بالمدينة المنورة ونشأ فيها، درَّس الفقه وعلوم اللغة العربية.

٢٨.الشَّيْخ عبد الحفيظ الكوراني الكردي (م ١٣١١ - ت ١٣٧٠ هـ)

وُلِدَ في المدينة المنوَّرة ونشأ فيها، درَّس الفقه.

٢٩.الشيخ عبد العزيز بن صالح (١٣٣١ -١٤١٥هـ)

ولد بالمجمعة، انتقل إلى المدينة المنورة عام ١٣٦٤هـ، له حلقات في المسجد النبوي يدرس فيها التوحيد والفرائض.

٣٠.الشَّيْخ عبد المعين الحازمي (م ١٣٣١هـ)

وُلِدَ في المدينة المنوَّرة، ونشأ فيها ودرس في المسجد النبوي.

٣١.الشيخ يحيى دفتردار (١٢٦٣هـ -١٣٤٥هـ)

ولد في المدينة المنورة تصدر للتدريس في المسجد النبوي، فدرّس علوم الدين واللغة إلى آخر حياته.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثانياً: التعليم الرسمي

عندما[١] دخلت المدينة في المنظومة السعودية؛ عين الأمير محمد بن عبدالعزيز الشيخ أحمد كماخي مديراً لإدارة التعليم، الذي افتتح المدرسة الأميرية في باب الكومة والتي سميت فيما بعد بالمدرسة الناصرية، وجمع فيها طلاب المدارس الهاشمية الأربعة، فكانت أول مدرسة رسمية في المدينة المنورة في العهد السعودي، ثم أنشئت مدرسة أخرى باسم المدرسة المنصورية في منطقة الهاشمية - طريق السكة الحديدية - في العام نفسه، وكان مستوى التعليم فيهما يعادل المرحلة الابتدائية التي تلي المرحلة التحضيرية، وقد سبق إنشاء المدارس الرسمية السعودية في المدينة مثيلاتها في مكة بسنة رغم أن مكة كانت عاصمة الحجاز ومقر قيادة الملك عبد العزيز آنئذ [٢].

وخلال الفترة التي ندرسها افتتحت عدة مدارس بعد المدرستين السابقتين وهي: مدرسة النجاح التي كانت أهلية وتحولت إلى حكومية عام ١٣٥٩هـ[٣]، ثم مدرسة أبي بن كعب لتحفيظ القرآن عام ١٣٦٧هـ ثم مدرسة قباء ومدرسة القبلتين عام ١٣٦٨هـ، وأخيراً المدرسة الفيصلية ومدرسة صقر الجزيرة عام ١٣٧٣هـ. وامتدت حركة إنشاء المدارس إلى خارج المدينة لتشمل أهم المدن التابعة لها: بدر وينبع والعلا والحناكية، حتى بلغ عدد المدارس بمنطقة المدينة المنورة عام ١٣٧٣هـ تسعاً وثلاثين مدرسة تضم مئة وسبعة وستين فصلاً دراسياً، يدرس فيها أربعة آلاف ومئة

(١) انظر: التعليم في المدينة المنورة ص ٣٥٩، والتعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٢٤، وموسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مئة عام ص ١٦٦.

(٢) التعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٢٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وخمسة وثمانون طالباً، يدرسهم مئة وثمانية وثلاثون مدرساً بينهم عشرة مدرسين فقط غير سعوديين [١]. وقد تطورت مراحل الدراسة خلال هذه الفترة وتجاوزت المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الإعدادية والثانوية، وكانتا مدمجتين معاً ثم استقلت كل مرحلة بمدارسها، وافتتحت مدرسة طيبة الثانوية، وهي الثانوية الوحيدة في الفترة التي ندرسها، عام ألف وثلاثمئة واثنين وستين للهجرة [٢] وكان عدد طلابها (٥١) طالباً، وقد تابعوا بعد تخرجهم دراساتهم الجامعية خارج المملكة، وكانوا من رواد الحركة الثقافية وشاغلي المناصب العلمية والإدارية في جامعات المملكة ووزاراتها، وفي عام ١٣٦٨هـ افتتح المعهد العلمي السعودي على غرار المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، ولا توجد معلومات تفصيلية عنه، ولكن المعلومات المتوافرة عن معهد مكة تبين أنه كان يوازي المرحلة الثانوية ويزيد عليها بالتعمق في العلوم الشرعية [٣].

ثالثاً: التعليم الأهلي

للتعليم الأهلي جذور عريقة في المدينة المنورة، ومنذ أن ظهرت المدارس في العالم الإسلامي كان للمدينة نصيب منها، وكان الوقف الخيري أول محاضن هذا التعليم الذي نشط في كافة العواصم والمدن الكبيرة في ديار المسلمين، وطبعي أن يتوجه بعض الموقفين إلى المدينة المنورة لينشئوا فيها أوقافاً في وجوه الخير المختلفة ومنها المدارس، ومنذ العهد المملوكي تأسست في المدينة مدارس وقفية أشهرها المدرسة التي أنشأها السلطان

(١) التعليم في المدينة المنورة ص ٣٩٩.

(٢) المرجع السابق ٥١٢، وانظر التعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٧٢.

(٣) انظر: التعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٥٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قايتباي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري قرب باب الرحمة، التي تحولت فيما بعد إلى المدرسة المحمودية[١]، وخلال العهد العثماني ظهرت مدارس وقفية كثيرة، وقد ذكرت السالنامة [٢] الصادرة عام ١٣٠٨ أكثر من عشرين مدرسة وقفية كانت منتشرة حول المسجد النبوي، وكان لجميع هذه المدارس أوقاف يصرف من ريعها على المدرسين والطلاب والعاملين الآخرين.

ورغم ظهور المدارس الرسمية التي أنشأتها الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر [٣]؛ فقد استمر إنشاء المدارس الأهلية الوقفية كالمدرسة العرفانية التي أنشئت في المدينة عام ١٣١٤هـ.

مدرسة العلوم الشرعية

وفي العهد الهاشمي نهض أحمد الفيض أبادي بمشروع إنشاء مدرسة العلوم الشرعية وحصل على ترخيص لها وافتتحها عام ١٣٤١هـ ثم أغلقت بسبب اتهام القائمين عليها بالميول السلفية، وفتحت بأمر الشريف حسين، ولما بدأ العهد السعودي كان لهذه المدرسة قصب السبق في التطور والازدهار حتى ليمكن أن نعدَّ تاريخ عطائها المجزي بتاريخ العهد السعودي الحالي، فقد غدت أكبر مؤسسة تعليمية في المدينة، وخرَّجت على امتداد عهد الملك عبدالعزيز نخبة من المثقفين النشطين الذين تسلموا مناصب هامة في الدولة أو أصبحوا من الأدباء والمفكرين ورجال الصحافة والإعلام وكانت هذه المدرسة تدفع إعانات للطلاب المحتاجين، وتمنح مكافآت تشجيعية لحفظة القرآن والمتفوقين، وكان مدرسوها نخبة من رجال العلم وكان بعضهم

(١) انظر: سحر مفتي دور الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٣ -١٧٨.

(٢) السالنامة: العدد الأول سنة ١٣٠١هـ. والسالنامة نشرة رسمية دورية عثمانية.

(٣) انظر التعليم في مكة والمدينة ص ٧٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يدرِّس في المسجد النبوي إلى جانب تدريسه في المدرسة، وقد تطور نظامها التعليمي خلال الفترة التي ندرسها وضم عدة مراحل هي: المرحلة التأسيسية ومدتها سنة واحدة، يتعلم فيها الطالب مبادئ القراءة والكتابة والحساب وهي أشبه بمرحلة الروضة، أو التمهيدي في زمننا هذا، ثم قسم الشهادة الابتدائية، ومدة الدراسة فيها ست سنوات، يحفظ الطالب في نصفها الأول القرآن الكريم كاملاً، ويدرس في نصفها الثاني التوحيد والحديث والتفسير والفقه وعلوم اللغة والحساب والهندسة والجبر والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا، وكانت الثقافة التي يحصل عليها الطالب في نهاية هذه المرحلة لا تقل عن الثقافة التي يحصل عليها الطالب في المرحلة الثانوية في وقتنا هذا، فضلاً عن الاتقان.

إضافة إلى المراحل السابقة أحدثت شعبة العلوم العربية، يدرس فيها حاملو الشهادة الابتدائية السابق ذكرها أمهات كتب الفقه على المذاهب الأربعة، وكتب التفسير والحديث والأصول، والنحو والصرف وبعض الدووين الشعرية التراثية كديوان البحتري وأبي تمام والمتنبي، وكان خريجو هذه الشعبة على درجة عالية من الثقافة ومؤهلين للتدريس، وقد عين عدد منهم في التدريس، كما عين بعضهم في وظائف إدارية متقدمة، مثل عبدالقدوس الأنصاري الذي عين في ديوان إمارة المدينة المنورة.

وقد خرجت مدرسة **العلوم الشرعية** هذه في المدة التي ندرسها عدداً من الذين تولوا مناصب عليا في الدولة مثل محمد عمر توفيق وزير المواصلات ومحمد على الحركان رئيس رابطة العالم الإسلامي، ومحمد الحافظ قاضي المحكمة الشرعية الكبرى، وعبدالعزيز الربيع مدير التعليم والكاتب المعروف... إلخ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن المدارس الأهلية المتميزة التي افتتحت في الفترة التي ندرسها، التي أسسها أحد التجار مدرسة دار الأيتام المقيمين في المدينة واسمه عبدالغني الدادا سنة (١٣٥٢هـ)، فقد تجمع في المدينة عدد من الأيتام الذين فقدوا أحد والديهم أوكليهما، نتيجة الفتن والثارات والأمراض والمجاعة التي أصابت المنطقة منذ أواخر العهد العثماني، ونجح الدادا في جمع تبرعات بدأ بها مشروعه في مبنى مستأجر قرب المسجد النبوي، جهزه ليكون للإقامة والدراسة والعمل، وقدأنشئت في هذه المدرسة أيضاً ورش صغيرة يتدرب فيها الطلاب لاحتراف مهن تحتاجها المدينة، كالكهرباء والسباكة والنجارة، ورغم اهتمامها بالجانب الحرفي فإن الثقافة التي كانت تزود بها طلابها لا تقل عن ثقافة المدارس الأخرى المتقدمة حيث كانت تدرس المناهج نفسها، وكان التعليم فيها إلى نهاية المرحلة الابتدائية (ست سنوات).

تميزت دار الأيتام بميزات لم تكن موجودة في المدارس الأخرى الأهلية والحكومية أهمها **ميزة الحرفية** و**الإنتاج التجاري** الذي يجعل التعليم الحرفي واقعياً واقتصادياً وليس نظرياً مثالياً، كما أنه يشكل مورداً يدعم ميزانية المدرسة ويغطي بعض نفقاتها، وقد أثمرت هذه الميزة بقوة في فترة الحرب العالمية الثانية، حيث زودت السوق المحلية بمنتجات لم يكن من السهل الحصول عليها في تلك الظروف الصعبة، بل وارتقى إنتاجها إلى درجة أنها صنعت بعض قطع الغيار لمحركات السيارات باستخدام القطع المستهلكة وصهرها وإعادة سبكها.

إضافة إلى الميزةالسابقة كانت دار الأيتام أول مدرسة تقرر تدريس مادة التربية الفنية، لحاجتها إليها في تطوير الجانب الحرفي للطلاب، وكذلك تدريس مادة التربية الرياضية، فقد كان مديرها الأول الأستاذ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حسني العلي ضابطاً في الجيش العربي، يدرك أهمية اللياقة البدنية، فقرر المادة وأدخل إليها ألعاب كرة القدم والسلة والطائرة وأجرى المباريات بين الفصول، كما أدخل إليها بعض الألعاب الشعبية المعروفة في المدينة، وأسس فرقة كشافة تقوم بنشاطات ورحلات وتسهم في مراقبة الانضباط ومساعدة الطلاب.

ولعل أهم جانب مميز يرتبط بموضوعنا هو الندوة الثقافية الأسبوعية التي كانت تعقدها الدار (في كل يوم خميس بدءاً من عام ١٣٥٣هـ حيث يقوم الطلاب المبرزون بإلقاء القصائد والمواضيع النثرية، كما كان بعض الطلاب يقومون بإجراء بعض المحاورات الأدبية أو العلمية، وتقوم فرقة المدرسة للأناشيد بتقديم أناشيدها الجميلة، وقد استدعى إقامة مثل هذه الندوات الثقافية حضور أدباء المدينة، فكانوا يتنافسون في إلقاء قصائدهم الجديدة، ومن أشهرهم الشاعر ضياء الدين رجب والشاعر حسن حماد والأديب محمد حسين زيدان والشاعر طاهر زمخشري) [١].

وكانت إدارة الدار توجه المتفوقين لإكمال دراستهم في مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة، وتساعد الآخرين في الحصول على وظائف في الشرطة أو الدفاع أو اللاسلكي[٢]، ومن أشهر خريجيها الذين صاروا شخصيات علمية وإدارية: أحمد محمد علي مدير البنك الإسلامي للتنمية حالياً، وزين طاهر الذي وصل رتبة لواء وتولى مديرية الشرطة، وسعد العوفي الذي تولى إدارة الجمارك... وغيرهم كثير [٣].

(١) التعليم الأهلي ١٧٢.

(٢) السابق ١٧٧.

(٣) المرجع السابق ١٧٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مدرسة التهذيب الخيرية

هذه المدرسة تطوير لكتّاب أسسه الشيخ عبدالرحمن محمد العربي الإدريسي عام ١٣٥٠هـ وبعد سنتين طلب تصريحاً بتحويله إلى مدرسة باسم مدرسة التهذيب الخيرية، وكانت في بدايتها تدرس المرحلة الابتدائية ومدتها أربع سنوات، ولقيت إقبالاً حتى ضاق مبناها عن استعياب الطلاب الجدد، فانتقلت إلى مبنى في حي الأغوات وافتتحت شعبة لتعيلم القرآن الكريم مدتها ثلاث سنوات، تقبل الطلاب من جميع الأعمار، وقد توقفت الدراسة فيها عدة مرات لقلة مواردها المالية ولشكاوى كيدية واتهامات ثبت للمسؤولين عدم صحتها فأعيد فتحها، واستمرت في عملها إلى نهاية المدة التي يدرسها هذا البحث وكانت تطبق المناهج المعتمدة في المدارس الحكومية وقد تخرج منها ٨٤٥ طالباً[1].

مدرسة النجاح الأهلية

أسسها[2] الأستاذ عمر عادل، الذي كان ضابطاً في الجيش التركي ثم ترك العسكرية وهاجر إلى المدينة وعمل مدرساً في مدرسة العلوم الشرعية منذ ١٣٤٧هـ إلى ١٣٥٣هـ حيث استقال وأسس مدرسته التي عنيت بمساعدة الطلاب الفقراء على وجه الخصوص، ودرست المناهج المطبقة في المدارس الحكومية، وقد اعتمد المؤسس في تمويل المدرسة على تبرعات المحسنين من أهل المدينة وزائريها من الحجاج والمعتمرين وبعض الجهات الرسمية، وظلت كذلك حتى عام ١٣٥٩هـ حيث سلمها المؤسس إلى مديرية المعارف لتتحول إلى مدرسة حكومية .

(١) انظر: التعليم الأهلي بالمدينة المنورة ١٤٤ -١٥٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٨١ -١٩٣ والتعليم في المدينة المنورة ص ٤٥١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مدرسة دار العلوم السلفية

أسسها[١] رشيد أحمد إبراهيم الأنصاري الهندي الذي هاجر إلى المدينة عام ١٣٤٩هـ وعمل في مدرسة العلوم الشرعية حتى عام ١٣٥٦هـ ثم تفرغ للتدريس في المسجد النبوي، وفي عام ١٣٦٧هـ حصل على ترخيص بافتتاح هذه المدرسة وجعلها على ثلاث مراحل: التحضيرية والابتدائية والعالية، وطبق في المرحلتين الأوليين مناهج المدارس الحكومية، وفي المرحلة العالية طبق منهجاً يشابه منهج دار الحديث، فكان يدرس الصحاح والمسانيد في علم الحديث، وابن كثير والطبري وغيرهما في التفسير، وبعض كتب اللغة العربية والنحو والصرف، ولقيت المدرسة دعماً من المحسنين ومن الحكومة إلى نهاية الفترة التي ندرسها، وكان لها أثر في نشر ثقافة الحديث النبوي بين خريجيها، وصار بعضهم مدرسين في المسجد النبوي والجامعة الإسلامية لاحقاً [٢].

مدرسة الصحراء لظاهرة الأميز

كان انتشار التعليم الأهلي وازدهاره وتقدمه على التعليم الحكومي في المدينة المنورة في الفترة التي ندرسها ظاهرة لافتة للنظر، وكان تشجيع الدولة وإعاناتها لهذه المدارس مما يساعدها على ذلك التقدم ويسد النقص الذي لم تكن واردات الدولة تعينها على سده بمدارسها.

غير أن الظاهرة الأميز في هذا التعليم مبادرة

(١) انظر: التعليم في المدينة المنورة ٤٥٢.

(٢) التعليم الأهلي ص ٢٨٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رائدة قام بها مؤسسا جريدة المدينة كانت سبقاً لهما في ميدان التعليم، كما كانت جريدة المدينة المنورة التي أصدراها سبقاً لهما في ميدان الصحافة، هذه المبادرة هي مدرسة الصحراء.

فقد شغلهما تركز التعليم في المدينة وغيابه عن الريف الواسع،وحاجة سكانه قرى وبادية إلى التعليم وإلى المدارس والتهذيب والتوجيه، ووجدا في البادية استعدادا فطرياً لذلك، فعزما على تأسيس أول مدرسة في البادية، واختارا قرية المسيجيد التي تقع على بعد ثمانين كيلومتراً من المدينة باتجاه مكة، وعلى طريق القوافل لتكون موقع المدرسة.

بدأ الرائدان تنفيذ فكرتهما عام ١٣٥٦هـ وبحثا في القرية عن مبنى مناسب، فوجدا مبنى للدولة استأجره أحد أبناء القرية وجعله محطة استراحة للقوافل فاتفقا معه أن يؤجرهما غرفة قصية فيه لتكون نواة المدرسة،وزارا عمدة القرية والتقيا بعدد من وجهائها وشرحا لهم الفكرة، وبينا فوائدها العظيمة لهم ولأبنائهم، واستطاعا إقناع عدد من الآباء بإرسال أبنائهم، وتعهدا بتأمين جميع الاحتياجات وبدفع معونة مالية للطلاب الذين يعولون أهاليهم.

وبالفعل بدأت المدرسة عملها في شهر شوال عام ١٣٥٦هـ بـ ١٣ طالباً وبمدرس واحد، استطاعا إقناعه بالعمل فيها، وهو الأستاذ سالم داغستاني.

نمت المدرسة بسرعة، وأصبحت احتياجاتها أكبر من طاقة المؤسسين، لذا قاما بحملة إعلامية واسعة في صحيفة المدينة المنورة، وفي صحيفة أم القرى، وطلبا التبرع للمدرسة وطلابها، ونشرا الميزانية المفصلة، فجاءتهما التبرعات من الأهالي، وكانا ينشران قوائم بأسماء المتبرعين والمبالغ التي تبرعوا بها عرفاناً للمتبرعين، وحضاً للآخرين، ونجحت

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خطتهما الإعلامية وأصبحت واردات المدرسة معقولة جداً تفي بحاجاتها السنوية [١]، وكانت هذه المدرسة أول مدرسة نظامية تطبق منهاج وزارة المعارف في البادية.

وما لبثت الحكومة أن شجعت المشروع وسلمت المبنى كاملاً لإدارة المدرسة بعد انتهاء مدة عقد إيجاره، فاتسعت المدرسة وازداد عدد طلابها باضطراد، وبلغ عدد الذين درسوا فيها حتى عام ١٣٨١هـ (٩٠٣) طالباً، واصل عدد منهم الدراسة في المعاهد والجامعات، وتسلموا وظائف وإدارات مهمة [٢]، وقد ساعدت الدولة المشروع أول الأمر بدفع رواتب الطلاب (نصف ريال يومياً لكل طالب)، ثم تسلمت المشروع وحولته إلى مدرسة حكومية عام ١٣٨١هـ.

ويذكر المؤسسان أن هذا المشروع كان أول مدرسة أسست في البادية، وأول مدرسة تدفع الدولة لطلابها المرتبات[٣]، وقد أثبت خريجو هذه المدرسة جدارتهم، فتابعوا دراستهم في المراحل التالية، ثم أوفدت الدولة عدداً منهم في بعثة لأمريكا، وألحقت عدداً آخر بالمدارس العسكرية وبوظائف مهمة[٤]، وهكذا نجح التعليم الأهلي في إكمال حلقة الثقافة بالتعاون مع التعليم الرسمي وعناصر الحياة الثقافية الأخرى، وكان يعتمد على مبادرات فردية، وتمويل خيري، ومساعدات حكومية،

(١) نشر مؤسسا المدرسة ميزانيتها عام ١٣٦٦هـ أي بعد عام من تأسيسها وملخصها كما يلي: ميزانية شهر ربيع الثاني ١٣٦٦هـ: الموجودات ٦١٦٣ ريالاً و ٥١١ روبية. التبرعات العينية ١٠٠٠دفتر، ٥٠ مرساماً و ١٠٠ جزء عم، وثوب خام لكل طالب. وهذا يدل على استجابة جيدة من أهل المنطقة. انظر جريدة المدينة عدد ١١٥٨ في ١٨ جمادى الثانية عام ١٣٦٦هـ.

(٢) انظر فصول من تاريخ المدينة ٢٤٦ -٢٥٤ صور وذكريات عن المدينة ١٨٥ -١٩٠.

(٣) فصول من تاريخ المدينة ٢٧٤.

(٤) المرجع السابق ٢٥١ -٢٥٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكانت الحماسة لهذا التعليم ترفده بتبرعات ساعدته على الاستمرار والنمو وإنشاء جيل متعلم يتدرج في سلم الثقافة ويبدع في مجالات شتى ويصبح رائداً ومعلماً للجيل التالي.

تعليم البنات

من الظواهر اللافتة للنظر في التعليم الأهلي في المدينة المنورة خلال الفترة التي ندرسها تعليم البنات، الذي ظهر مبكراً قبل أن تتبناه الدولة، فقد عرفت المدينة المنورة كتاتيب خاصة للبنات تديرها سيدات عرفن باهتمامهن بتعليم القرآن الكريم، وكان نظامها لايختلف عن نظام كتاتيب الأولاد، وربما تضم بعض كتاتيب البنات عدداً من الأولاد دون سن السابعة، ويذكر الأستاذ ناجي الأنصاري أن تقرير مديرية المعارف عام ١٣٤٦هـ يقرر أن (كتاتيب البنات المشهورة كثيرة، ومن أهمها كتّاب فخرية هانم وعدد طالباته آنذاك (٩٥) طالبة وكتّاب فاطمة هانم وعدد طالباتها ١٢٠ طالبة)[١] وينقل عن تقرير آخر رفعه شيخ طائفة الفقهاء والقراء بالمدينة إلى معتمد المعارف سنة ١٣٥٦هـ أسماء ستة كتاتيب للبنات يبلغ عدد طالباتها (٥٠٦) طالبات تتوزع في أحياء المدينة الرئيسية.

إضافة إلى الكتاتيب ظهرت مدارس للبنات أهلية، يذكر الباحث سبعاً منها تأسست مابين سنة ١٣٤٨ وسنة ١٣٢٦هـ [٢]، وظلت قائمة إلى أن أدرجت ضمن مدارس تعليم البنات سنة ١٣٨٠هـ، ويبدو من مناهجها وسنوات التدريس فيها أنها كانت تقتصر على المرحلة الابتدائية، كما أن بعضها قبل عدداً من الأولاد مع البنات فأصدرت مديرية المعارف عام

(١) التعليم في المدينة المنورة ٥٧٨ والتعليم الأهلي في المدينة المنورة ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق ٥٨٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٣٤٩هـ قراراً بمنع اختلاط الجنسين فيها وكلفت لجان التفتيش متابعة تطبيق القرار، وقد تضمنت مناهج مدارس البنات إضافة إلى المواد النظرية، (تعليم الطالبة الاهتمام بالبيت وتنظيفه، وتتعلم أشغال الإبرة)[1].

رابعاً: المجالس الثقافية

من المظاهر البارزة للحياة الثقافية في المدينة المنورة المجالس الثقافية؛ التي تعقد في البيوت والاستراحات والمزارع، يلتقي فيها جمع من المثقفين والشعراء والكتّاب ومحبي الثقافة، ويدور الحديث بينهم حول موضوع أو أكثر، وينشد الشعراء قصائدهم، ويقرأ الكتّاب بعض ما كتبوه، وتتوالى التعليقات، بعضها موضوعي أقرب إلى النقد البناء، وبعضها لا يخلو من المجاملات، وبعضها يحمل الانطباعات الشخصية، وتنتقل أخبار الثقافة من الذين تصلهم أخبارها أو كتبها أو الصحف التي تحملها إلى الآخرين، فتعم الفائدة، وتزداد المعلومات، وقد يتمخض المجلس عن بداية إبداع قادم، فتولد في الفترة مابين مجلس وآخر قصيدة أو مقالة أو قصة أو دراسة تكون مادة من مواد الجلسة التالية، لذلك تجتمع في هذه المجالس الفائدة والمتعة، وكثيراً ما يسودها جو من المرح، وتتخللها أو تختمها وجبة طعام أو ضيافة حسنة.

عرفت المدينة هذه المجالس منذ العهد العثماني، وربما تكون امتداداً لمجالس عريقة عراقة الأخبار التي تتناقلها كتب الأدب عن جلسات مشابهة منذ أن كان النابغة الذبياني يزور المدينة (يثرب) قبل الإسلام، وجلسات أخرى على ضفاف العقيق في العهد الأموي كتبت عنها صفحات

(١) المرجع السابق نفسه.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كثيرة، وربما يكون لهذه الجلسات امتداد تاريخي عبر العصور التالية، ينتظر أن ينقب عنه الباحثون في كتب الأخبار والتراجم، ويلتقطوا عبارة من هنا وعبارة من هناك ليعرضوا من مجموعها صورة صحيحة لهذه المجالس.

وأياً ما كان البعد التاريخي للمجالس الثقافية في المدينة المنورة، فإن أخبار هذه المجالس في الفترة التي ندرسها موزعة في كتابات عدد من الأدباء ومذكرات عدد آخرين من المثقفين، كما أن بعض هذه المجالس كتبت لها الاستمرارية على أيدي أبناء مؤسسيها وأحفادهم، فما تزال تعقد حتى الآن.

ولا شك أن تقدم التعليم أسهم في ظهور عدد من الشباب المثقفين النشيطين، الذين أسسوا هذه المجالس أو عمروها بحضورهم ومشاركاتهم الفعالة، خاصة وأن المدينة لم تعرف في ذلك الوقت أية هيئة أو مؤسسة رسمية أو شبه رسمية لها مقر ثابت تجمع المثقفين، وأن كثيراً منهم لم يكن يملك الإمكانات المادية التي تساعده على تحقيق طموحاته، وكانت حماستهم للإبداع ورغبتهم في توصيل ما لديهم للآخرين تدفعهم لاستخدام الإمكانات المتاحة، وفي مقدمتها بيوتهم وأماكن لقاءاتهم، فجعلوها مواقع ثقافية أشبه بالأندية الأدبية الحالية.

وقد عرفت المدينة في العهد الذي ندرسه جماعتين تتنافسان في عقد اللقاءات الأدبية والمحاضرات: الجماعة الأولى سمت نفسها (الحفل الأدبي) وكان أبرز أعضائها: عبدالقدوس الأنصاري وأحمد الخياري وأحمد رضا حوحو، وكانت تعقد لقاءاتها مساء يوم الجمعة من كل أسبوع في منزل أحد أعضائها، والجماعة الثانية سمت نفسها (جماعة المحاضرات) وأبرز أعضائها عبدالحق نقشبندي ومحمد عمر توفيق ومحمد حسين زيدان وعثمان حافظ، وكانت تهتم بإعداد وتقديم محاضرات

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثقافية دورياً، فتكلف أحد أعضائها بذلك، أو تستضيف أحد زوار المدينة من الكتاب والأدباء القادمين من البلاد العربية وتطلب منه إلقاء محاضرة في موضوع يختاره، وكانت تعقد جلساتها مساء كل يوم ثلاثاء في بيوت أحد أعضائها، ولما كثر الإقبال عليها، نقلت جلساتها إلى باحة المدرسة الناصرية[١]، وقد أتاح هذا النشاط الثقافي الفرصة للشعراء والكتاب لإظهار إبداعهم وصقله، وأسهم في نشر الثقافة بين أبناء المدينة الذين أقبلوا عليها.

إضافة إلى هاتين الجماعتين ظهرت مجالس أخرى كانت تسمى (قيلة وليلة، أما القيلة فجلسة تعقد نهاراً في أحد بساتين المدينة القريبة منها؛ كبستان المصرع أو خيف السيد لآل المدني أو بستان الزهرة لآل محروس وغيرها، وأما الليلة فهي جلسة تعقد في الليل، ويرافق الجلسة عادة مائدة عشاء) [٢]

ويذكر الباحث الذي رصد رواد القيلة والليلة أكثر من خمسين شخصية على مدى ثلاثة عقود، ويقرر أن مما تمخضت عنه ولادة مجلة المنهل وجريدة المدينة، وتشكيل أسرة الوادي المبارك والنادي الأدبي بعد ثلاثة عقود أخرى[٣].

وثمة مجالس ثقافية أخرى يرصدها التقرير تدخل في العهد الذي ندرسه تتشابه الأنشطة الثقافية التي تجري فيها، وهي ثقافة دينية تعتمد على تفسير الآيات وشرح الأحاديث، والقصص والمواعظ، يضاف إليها

(١) انظر: جريدة المدينة ع ٣ في ١١ صفر ١٣٥٦هـ وع ٢٠ و ٢١ جمادى الثانية ١٣٥٦.

(٢) انظر: د. ماجد إبراهيم العامري، تقرير عن المجالس الثقافية في المدينة المنورة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثالث ص ١٧٧.

(٣) المرجع السابق ١٧٨ -١٧٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قصائد شعرية وأخبار طريفة، ومن أهم هذه المجالس مجلس الشيخ عبدالحميد عباس المعروف بالعباسية، ومجلس آل القمقمجي، ومجلس السيد زكي برزنجي، ومجلس السيد عبيد عبدالله مدني، ومجلس أخيه السيد أمين عبدالله مدني، ومجلس السيد أسعد طرابزوي، ومجلس الشيخ محمد الحافظ، وبعض أصحاب هذه المجالس من أعلام المثقفين في المدينة، ومنهم الشعراء والكتاب والمؤرخون.

وثمة مجلس آخر كان له نشاط متميز، هو مجلس السيد مصطفى حسن عطار الذي اهتم إضافة إلى الموضوعات الأدبية والثقافية "بعلم الفلك والنجوم وأدواتها، ثم بممارسة التمثيل والإخراج، وكان رواد المجلس يقومون بعمل التمثيليات المختلفة، وكان لديهم الثياب والأدوات اللازمة للتمثيل، وغالباً ما تتم عملية التمثيل في المزارع والبساتين خارج المدينة، وكانوا يؤدون بعض اللقطات التي تعتمد على خدع الإخراج، واستمر القيام بهذه الهوايات لفترة طويلة" [1].

وهكذا احتضنت المجالس الثقافية في المدينة جانباً من الحياة الثقافية بأطيافها المتعددة وأسهمت في شحذ إبداع المبدعين، وتشجيعهم، وتوفير منبر يظهرون فيه إبداعهم شعراً ونثراً، وفي الوقت نفسه هيأت للرواد الآخرين فرصة تنمية ثقافتهم وصقل أذواقهم وتحقيق متعة الفكر والبيان والطرافة.

الأدباء وعطاؤهم الثقافي

شهدت [2] الفترة التي ندرسها ظهور عدد من الأدباء الذين أسهموا في تفعيل الحياة الثقافية بإبداعاتهم الشعرية والنثرية، وكانوا يعمرون المجالس الثقافية

(١) السابق ١٨٣.

(٢) هذه التراجم مأخوذة من أرشيف مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المنتشرة في أنحاء المدينة، يقدمون فيها شيئاً من إبداعاتهم، وكان بعضهم ينشر هذه الإبداعات في الصحف والمجلات داخل المملكة وخارجها، وقد أصدر عدد منهم دواوين شعرية وقصصاً ومقالات في كتب طبع معظمها خارج المملكة، وطبع بعضها في جدة والمدينة. وفيما يلي عرض موجز لأهم الأدباء الذين عاشوا في تلك الفترة حسب ترتيب اسمائهم هجائياً:

١ـ أحمد العربي ١٣٢٣ هـ -

شاعر وأديب، قوي الأسلوب عميق المعاني، ولد في المدينة المنورة عام ١٣٢٣ هـ، وأسهم في الحركة الثقافية في عصره؛ من خلال مشاركاته في المجالس الثقافية، وكتاباته في الصحف.

٢ـ حسن مصطفى صيرفي ١٣٣٦هـ -....

شاعر يهتم بالقضايا الاجتماعية ويعرضها بأسلوب سهل مبسط، يستخدم بعض الألفاظ الشعبية، ويسلك مسلك الدعابة والفكاهة، فتحمل قصائده في طياتها نقداً ساخراً ومؤثراً.

ومما نشر من دواوينه: ديوان شبابي، وديوان دموع وكبرياء، وديوان قلبي.

٣ـ حسين قاضي ١٣٤٧ ـ ١٤٢٥هـ

شاعر، له إسهام في نشر الثقافة في المدينة خاصة في المرحلة الأولى من حياته.

٤ـ ضياء الدين حمزة رجب ١٣٣٥ ـ ١٣٩٦ هـ

شاعر وكاتب، له أثر كبير في الحركة الثقافية في المدينة بمشاركاته في المجالس الثقافية، والكتابة في الصحف والمجلات، وعندما أسست الإذاعة شارك فيها بأحاديث يومية.

٥ـ الطيب بن طاهر الساسي (١٣١٠ ـ ١٣٧٨ هـ)

من أصل مغربي، ولد وتعلم في المدينة، وأصبح أحد أهم أدباء الصحافة في العهدين الهاشمي والسعودي، تولى إدارة الجريدة الرسمية في

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مكة "القبلة" وتحريرها أيام الشريف حسين، وولاه الملك عبد العزيز إدارة الجريدة الرسمية "أم القرى".

٦ـ عبد الحق عبد السلام نقشبندي ١٣٢١هـ .....

شاعر من أهل المدينة، له ولع في نظم الأناشيد الوطنية، وله مشاركات كثيرة وخاصة في المناسبات، لذا يصدق عليه أنه شاعر المناسبات.

٧ـ عبد الحميد عنبر

شاعر مناسبات، له مجموعة شعرية وحيدة بعنوان "اللجين المذاب"، أسهم بشعره ونثره في المجالس الأدبية وفي مجلة المنهل وجريدة المدينة.

٨ ـ عبد الرحمن سليمان رفة (١٣٣١ هـ ـ ١٤٢٦هـ).

شاعر، شارك في الحركة الأدبية بالمدينة المنورة منذ بواكيرها في هذا العصر.

جمع عدداً من قصائده في ديوان بعنوان: جداول وينابيع.

٩ ـ عبد الرحيم أبو بكر محمد أحمد (١٣٥٦ -١٤٠٢هـ)

شاعر مجيد، له مشاركات في الصحف والمجلات المحلية، نشر فيها عدداً من قصائده ومقالاته النقدية.

١٠ـ عبد السلام هاشم حافظ (١٣٤٧ ـ ١٤١٦ هـ)

شاعر وكاتب، متأثر بالرومانسية ومرضه، كتب معظم قصائده في الشكوى والألم، وتجارب الحب الفاشلة، له شعر غزير متفاوت في قيمته الفنية، له مؤلفات في الأدب والتاريخ.

١١ـ عبد العزيز الربيع (١٣٤٣ ـ ١٤٠٢ هـ)

أديب وناقد وشاعر، أسهم بشكل فاعل في مسيرة الحركة الثقافية في المدينة المنورة، وألقى الكثير من المحاضرات والندوات في عدد من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الهيئات والمحافل الثقافية والعلمية، صدر له عدد من المؤلفات والبحوث والدراسات في مواضيع مختلفة.

١٢ـ عبد القدوس الأنصاري (١٣٢٤هـ ـ ١٤٠٢هـ).

أحد أبرز أدباء ومؤرخي العصر، أسهم بشكل كبير في إثراء الحركة الثقافية في المدينة المنورة، وهو الذي أنشأ مجلة المنهل عام ١٣٥٥هـ، وله مؤلفات وتحقيقات كثيرة.

١٣ـ عبيد مدني (١٣٢٤هـ ـ ١٣٩٦هـ).

مؤرخ وشاعر، أسهم بشكل فاعل في الحركة الثقافية في المدينة، فقد كتب في تاريخها خمسة مؤلفات، وله ديوان شعر مطبوع باسم: "ديوان المدنيات".

١٤ـ عزيز ضياء الدين (١٣٣٢ هـ ـ ١٤١٢هـ).

ولد في المدينة المنورة عام ١٣٣٢ هـ، اشتهر بالكتابة في أدب القصة، وأسهم في نشر الثقافة الأدبية من خلال عدد من الأعمال التي ألفها أو ترجمها.

١٥ـ علي حافظ (١٣٢٦هـ ١٤٠٧هـ).

من أبرز أدباء وشعراء عصره، أسهم بشكل فعال في إثراء الحركة الثقافية في المدينة المنورة، وأسس مع أخيه عثمان جريدة المدينة عام ١٣٥٦هـ، كما أسس مع أخيه عام ١٣٦٥هـ مدرسة الصحراء الابتدائية في المسيجيد لتعليم أبناء بادية المدينة.

١٦ـ عمر البرّي (١٣٠٩ ـ ١٣٧٨ هـ)

شاعر شهد العهود الثلاثة التي مرت على المدينة المنورة: آخر العهد العثماني والعهد الهاشمي والعهد السعودي، كان كارهاً لأسلوب التتريك

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الذي نهجه العثمانيون، فناصر الثورة العربية بشعره، وكذلك الملك عبد العزيز آل سعود.

١٧ـ غالب حمزة أبو الفرج (١٣٤٩ -١٤٢٦)

كاتب متميز غزير العطاء، ولد في المدينة المنورة عام ١٣٤٩ هـ، وساهم في نشاطات كثيرة منها الكتابة الاجتماعية، وبرز في كتابة القصة والرواية والمقالة .

١٨ـ ماجد أسعد الحسيني ١٣٤٢ هـ .....

شاعر مجيد له العديد من القصائد نشرت في الصحف والمجلات المحلية وغيرها. أصدر ديوان تسالي، عام ١٣٧١ هـ.

١٩ـ محمد بن أحمد رمضان (.. - بعد ١٣٤٠ هـ =.. - بعد ١٩٢١ م)

أديب وشاعر من أهل المدينة المنورة، من مؤلفاته:

صفوة الأدب: مختارات شعر وموشحات، ومناجاة الحبيب في الغزل والنسيب: ديوان، ومسامرة الأديب، وتنبيه الأنام في ترتيب الطعام.

٢٠ـ محمد حسين زيدان ١٣٢٥ هـ ـ

كاتب متين، له أسلوب سلس ومشوق، أسهم في نشر الثقافة في المدينة المنورة من خلال كتاباته في الصحافة والإذاعة، وكتب في النقد الأدبي والاجتماعي والسياسة والتاريخ.

٢١ـ محمد سعيد دفتردار (١٣٢٢هـ ـ ١٣٩٢هـ).

مؤرخ وأديب وشاعر، عين معتمداً للمعارف في المدينة عام ١٣٦٢هـ، وأسهم في نشر الثقافة في المدينة المنورة من خلال كتاباته المتنوعة؛ في التاريخ والأدب والشعر.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢٢- محمد عمر توفيق ١٣٣٧هـ - ١٤١٤هـ).

ولد بمكة ودرس وأقام بالمدينة، وهو كاتب وأديب وشاعر مرموق، له مشاركات كثيرة في مجالات مختلفة.

٢٣- محمد هاشم رشيد ١٣٤٩ هـ - ١٤٢٣هـ).

شاعر مبدع، يجمع شعره بين الرصانة التراثية ونزعات التجديد في اللغة والصورة، ويضم موضوعات وجدانية رومانسية أحياناً: الحب المعذب، والشكوى، والطبيعة، والبحث الدائم عن حالات مثالية، فضلاً عن المناسبات الوطنية والدينية والمديح. له مشاركات في المجالس الثقافية، وأسهم في تأسيس أسرة الوادي المبارك عام ١٣٧٠هـ.

خامساً: الصحافة

من مظاهر الحياة الثقافية التي تدفقت بقوة وتميز في المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز الصحافة، حيث لم تكن شروط العمل الصحفي ولا أدواته قد توافرتا، ولا الوفرة المالية التي تدفع إلى المغامرة بمشروعات غير مأمونة، فبعد عشر سنوات من دخول المدينة المنورة في المنظومة السعودية بلغ الحراك الثقافي لدى بعض المثقفين أن تطلعوا إلى إصدار صحيفة ومجلة توازي ما يصدر في العواصم العربية الكبيرة، وخاصة القاهرة، التي كانت صحفها ومجلاتها تصل بأعداد محدودة وبعد مدة من صدورها، إلى أفراد يتداولونها، ويناقشون في مجالسهم ما يكتب فيها، ولربما تحمس بعضهم فأرسل مقالة أو قصيدة أو تعليقاً فنشر فيها، فازدادت حماستهم لهذه الصحافة، وأخذوا يفكرون جدياً بإصدار دورية مشابهة لإحدى الدوريات التي أعجبوا

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بها، دون أن تكون لديهم خبرة النشر وتكاليفه، وكل ما يملكونه طموح (هاوٍ يصدر لإشباع هوايته ولا يتطلع إلى الربح المادي)[1].

وبقدر ما كانت ولادة هذه الصحافة مغامرة فردية وريادة جريئة كانت أيضاً نتاج تطلع جماعي ودعم قوي ومشاركة ثقافية ومادية من المثقفين، في سنة واحدة، ومن بين أسنان مطبعة واحدة، وبفارق زمني لا يتجاوز الشهرين ولدت مجلة المنهل وجريدة المدينة المنورة لتكونا معلمين ثقافيين كبيرين، تتميز بهما المدينة المنورة عن سائر مدن المملكة.

وقصة ولادة كل منهما هي قصة موجة ثقافية بلغت عرامها وخرجت من خلال رائدها وَمَنْ وراءه.

أما **المنهل**، وهي التي سبقت في الصدور، فصاحبها الأديب الشاب آنئذ **عبدالقدوس الأنصاري** الذي كان في الثلاثين من عمره، وكانت مشاركاته في المجالس الثقافية بالمدينة المنورة كبيرة، وكان قد خاض مغامرة النشر، وأصدر حتى ذلك الحين رواية (التوأمان) سنة ١٣٤٩هـ وكتاب (إصلاحات في لغة الكتابة والأدب) سنة ١٣٥٢هـ وكتاب (آثار المدينة المنورة سنة ١٣٥٣هـ) كانت فكرة إصدار المجلة تراوده وهو على مقاعد الدراسة، وقد ناقشها مع صديقه **عبيد مدني** ثم مع عدد من شيوخه وأصدقائه وتقدم بطلب رسمي لإصدار المجلة، فصدرت له الموافقة عام ١٣٥٥هـ بكفالة ٥٠٠جنيه دفعها السيد **أحمد ياسين الخياري**.

كان عمل الأنصاري مغامرة جريئة تحمَّل أعباءها في الإعداد والتمويل والتوزيع ثم متابعة الإصدار، وكانت مشاركات زملائه المثقفين في الكتابة للمجلة والإسهام في تحريرها وتوزيعها وخاصة محمد حسين

(١) عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية ١٠/٢

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

زيدان وعلى حافظ وعبدالحميد عنبر وعبيد مدني، وطبع العدد الأول في (مطبعة طيبة الفيحاء) الصغيرة والوحيدة بالمدينة المنورة، التي يملكها الاخوان عثمان وعلي حافظ، ويروي عثمان حافظ في ذكرياته [١] أنه اتفق مع الأنصاري على طباعة ثلاثمائة نسخة من كل عدد، بمعدل عشرة أعداد في السنة وبتكلفة إجمالية قدرها ٦٠٠ جنيه سنوياً فقط بمقدار خمسين جنيهاً كل شهر وصدر العدد الأول في ذي القعدة [٢].

تحمل الأنصاري متاعب التحرير والنشر والتوزيع، ووضع كل إمكاناته في سبيل نجاح المجلة واستمرارها، ووفى بالتزامه أن تكون شهرية، فواصل إصدار الأعداد التالية بثقة كاملة، وساعده على ذلك إسهام المثقفين وخاصة من المدينة المنورة في كتابة المقالات والقصائد والدراسات التي نشرت فيها، وكانت مادتها العلمية والأدبية جيدة فتقبلها الجمهور في المدينة ومكة وجدة بالترحاب، ونظراً لضعف إمكانات مطبعة آل حافظ فقد انتقلت طباعتها بعد العدد الثالث إلى مطابع أم القرى، وكانت المادة تعد في المدينة وترسل جاهزة إلى المطبعة، وظلت على هذا الحال حتى عام ١٣٥٩هـ حيث انتقل الأنصاري للعمل في مكة وبدأ إصدارها منها.

وأما **جريدة المدينة** فقد بلغت تطلعات الشباب المثقفين في إصدارها درجة جعلتهم يجتمعون لدراسة السبل العملية لإصدارها، ويروي عثمان حافظ [٣]: (أن اجتماعاً تاريخياً عقد للبحث في موضوع الجريدة، وكان هذا الاجتماع بدار الأستاذ عزيز ضياء بالسيح، وكنت محور

(١) تطور الصحافة ١٠٣.

(٢) صور وذكريات ١٢٣.

(٣) عثمان حافظ تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية ص ١٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرحى في هذا الاجتماع، إذ كنت مكلفاً بتقديم بيان ما تحتاجه مطبعة طيبة الفيحاء من لوازم طباعية لإصدار جريدة عليها)، ويبدو أن الذين شجعوا عبدالقدوس الأنصاري على إصدار المنهل شاركوا في فكرة إصدار جريدة المدينة، وربما كانوا مخططيها الأوائل، فقد كان ممن حضر ذلك الاجتماع التاريخي (ضياء الدين رجب، والسيد ماجد عشقي وعبدالحق النقشبندي، ومحمد حسين زيدان، وعبدالحميد عنبر، ومحمد أحمد كردي، وصلاح الدين عبدالجواد، وفهمي الحشاني، وياسين طه، وعلي حافظ...).

وطبيعي أن تجد الرغبة الجماعية لشريحة المثقفين بالمدينة منفذها في الأخوين عثمان حافظ وعلي حافظ لأنهما الوحيدان اللذان يملكان وسيلة إصدارها (مطبعة طيبة الفيحاء)، يقول عثمان حافظ [1] (وكنت أشعر أننا نتحمل أكبر قسط من المسؤولية الأدبية عن تأخر إصدار الجريدة بالمدينة لأننا نزاول مهنة الطباعة التي هي الدعامة الأولى لإصدار الجريدة بالمدينة).

وقد اجتهد عثمان حافظ في تقدير تكلفة إصدار الجريدة وقدمها لزملائه وكانت تبلغ مئة وعشرة جنيهات، وهو مبلغ أعجز المجموعة المتحمسة رغم أنه أقل من التكلفة الحقيقية بكثير، ولكن هذا العجز تحول إلى تصميم عند عثمان حافظ وأخيه علي، فواصلا جهودهما لإصدار الجريدة، وحصلا على الترخيص اللازم واشتريا مطبعة أكبر من مصر وحصلا على إعفاء جمركي، وشكلا أسرة تحرير يرأسها السيد أمين مدني ويشارك

(١) المرجع السابق نفسه.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيها ضياء الدين رجب ومحمد حسين زيدان وعلي حافظ، ونجحا في إصدار العدد الأول من الجريدة في السادس والعشرين من محرم ١٣٥٦هـ.

ولقيت الجريدة ترحيباً حاراً من المثقفين ورجال الأعمال حتى إن أحدهم دفع عشرة أضعاف قيمة الاشتراك تشجيعاً ودعماً للجريدة[١]، وأسهم آخر بقرض قدره تسعون جنيهاً ذهبياً [٢].

كانت الجريدة على حداثتها وضعف مواردها معرضاً للحراك الثقافي - أو لجانب منه على الأقل - في المدينة المنورة، فقد كانت تنشر إضافة إلى الأخبار القليلة والمتأخرة عن وقت حدوثها بحسب بعد مكانها وزمن وصولها، المقالات الاجتماعية والفكرية والأدبية والقصائد الشعرية، وكانت معرضاً لخلافات وخصومات حول قضايا يثيرها بعض المحررين من وقت لآخر[٣].

استمر صدور الجريدة رغم العقبات المادية وقلة التجهيزات ونفاذ الحبر والورق أحياناً، وحظيت بمساعدة حكومية واشتراكات تشجيعية، أعانتها على تجاوز الكثير من العقبات، ومرت بظروف اضطرت للتوقف وخاصة ظروف الحرب العالمية الثانية حيث توقفت ست سنوات، ولكنها كانت تستعيد نشاطها فور تجاوزها للعقبة التي أوقفتها، وقد تطورت الكتابات فيها واستقطبت إبداعات ثقافية من المدينة وخارج المدينة وظلت تصدر أسبوعياً وفي بعض الحالات صدرت مرتين في الأسبوع [٤].

(١) المرجع السابق ١١٥.

(٢) ذكريات العهود الثلاثة ١٩٣

(٣) انظر: المصدر السابق ١٩٤.

(٤) السابق ٢٠١و ٢٠٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهكذا ظفرت الحياة الثقافية بهذين المنبرين الثقافيين الإعلاميين اللذين أضافا إلى أنشطتها عطاءات فكرية وأدبية كبيرة بأقل قدر ممكن من التكاليف والتجهيزات، وبأكبر قدر ممكن من الطموح والرغبة في الارتقاء الثقافي ومحاكاة المدن والعواصم التي تنتج وتحتضن بإمكاناتها الهائلة وقدراتها الكبيرة العطاءات الثقافية المتوالية.

خاتمة

وبعد فإن الصورة العامة للحياة الثقافية في المدينة المنورة في العهد السعودي متدرجة الألوان، بدأت بسيطة إثر مرحلة جمود وكمون بسبب القلاقل السياسية والأمنية التي شهدتها المدينة قبيل العهد السعودي، ثم أخذت في السطوع والارتقاء، وبلغت في بعض جوانبها درجة التميز ومجاراة المراكز المدنية الكبيرة رغم قلة الإمكانات وضعف التجهيزات.

وقد احتضن هذه الحياة الثقافية محاضن رعتها ونمتها هي: **حلقات العلم** في المسجد النبوي التي تصدّرها علماء كبار وتخرج منها رجال خلفوا شيوخهم في التدريس والعطاء، واستفاد منها الباقون ثقافة شرعية وأدبية، **والتعليم الرسمي** الذي ارتبط بإمكانات الدولة الناشئة ونما تدريجياً مع نموها، **والتعليم الأهلي** الذي كان شريكاً يعوض ما يتركه له التعليم الرسمي وينفرد عنه بمساحة خاصة للبنات، الأمر الذي يثبت الوعي الكبير والاهتمام العظيم والتعاون الشامل في مجتمع المدينة على هذه المكرمة، **والمجالس الثقافية** التي نشطت في هذا العهد وجمعت الأدباء والمثقفين وكانت منبراً ثقافياً وحافزاً مشجعاً على المزيد من الإبداع، و **الصحافة** التي ولدت رغم قلة الإمكانات وعدم توافر التجهيزات، حيث

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

شهدت المدينة في هذا العهد صدور مجلة ثقافية وجريدة أسبوعية تجتمع فيها الأخبار والقضايا الاجتماعية والعطاءات الثقافية.

وهكذا سار تيار الحياة الثقافية في هذه المحاضن مبتدئاً من مربع الجمود والكمون ومنتهياً إلى أفق النشاط والحيوية، ومهيئاً لقفزة واسعة ستشهدها المدينة في مرحلة تالية.

المصادر والمراجع

١ -أرشيف مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.
٢ - أمراء المدينة المنورة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم، أحمد ياسين الخياري، الأزهري، ط١، جدة ١٣٨٢هـ.
٣ - تاريخ الدولة السعودية، مديحة أحمد درويش، دار الشروق، جدة، ١٤٠٥هـ.
٤ - تاريخ ملوك آل سعود، سعود بن هذلول، تقديم وإشراف محمد العبودي، الرياض، ١٣٨٠هـ.
٥ - تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، صلاح الدين المختار، دار الحياة، بيروت.
٦ - تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مئة عام، وزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٤١٥هـ.
٧ -تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، عثمان حافظ، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ.
٨ -التعليم الأهلي في المدينة المنورة بين (١٣٤٤ - ١٤٠٨هـ)، دخيل الله عبد الله الحيدري، النادي الأدبي بالمدينة المنورة، ١٤١٢هـ.
٩ - التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى (١٤١٢هـ)، ناجي محمد حسن الأنصاري، المؤلف، ط١، ١٤١٤هـ.
١٠ -التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، د. محمد عبد الرحمن الشامخ، دار العلوم، الرياض، ١٣٩٣هـ.
١١ - الرحلة الحجازية، محمد لبيب البتنوني، ط٣، مكتبة المعارف، الطائف.
١٢ -ذكريات العهود الثلاثة / محمد حسين زيدان، المؤلف، الرباض، ١٤٠٨هـ.
١٣ - فصول من تاريخ المدينة، علي حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ.
١٤ - الكشاف التحليلي لمجلة المنهل، عبد الله موسى القحطاني، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ١٤١٥هـ.
١٥ - مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، محمد عيد الخطراوي، دار التراث، المدينة المنورة، ١٤١١هـ.
١٦ - المدرسة الناصرية بالمدينة المنورة، وزارة المعارف، ١٣٩٤هـ.
١٧ - المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، عاصم حمدان، النادي الأدبي بالمدينة المنورة ،١٤١٢هـ.
١٨ - لسان العرب، ابن منظور، بيروت ١٩٨٩م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة